في طرسوس

على قبر الخليفة العظيم

للدكتور عبد الوهاب عزام

هذه مدينة أذنة (أطنة) قدمتها البارحة وسيمر بها اليوم قطار طوروس السريع ذاهباً إلى الشام، وهو يمر بها ثلاث مرات في الأسبوع. فإن فاتني قطار اليوم فلا مفر من الانتظار في أذنة إلى السبت. إن هواء أذنة حار، وليس فيها ما يشغل الزائر ثلاثة أيام ففيم التلبث؟ إن لي في طرسوس أرباً ولا بد لي أن أزور طرسوس. إنها قريبة بينك وبينها مسيرة ساعة للقطار. ولو كانت بعيدة لما ترخصت في القعود عنها. إن لم يتيسر لي العودة منها قبل موعد القطار فليذهب قطار الأربعاء وليذهب قطار السبت فما عن زيارة طرسوس معدى. إن في القلب لحنيناً إليها ومنيتي وقفة فيها:

وقفة بالعقيق نطرح ثقلاً ... من دموع بوقفة بالعقيق

أأجاوز أذنة صوب الجنوب دون أن أرى طرسوس؟ أعظم به من عقوق، وحرمان للنفس مما تمنت سنين طوالاً

ما شأن طرسوس؟ ما الذي يشوقني فيها؟ إنها مدينة صغيرة كئيبة المنظر فما حببني إليها؟ لله أي كنز في طرسوس دفين! وأي تاريخ كبير في تراب هذه المدينة الصغيرة!

حاولت أن أبكر إليها فأعود فأدرك قطار طوروس، ولكن فاتني قطار ست ونصف من الصباح وكان علي أن أختار إحدى النيتين: إما قطار طوروس وإما طرسوس

أخذت القطار إلى طرسوس والساعة ثمان ونصف

هذه طرسوس أحد الثغور القديمة بين المسلمين والروم. طرسوس التي فتحها الرشيد ومات فيها ابنه المأمون غازياً كما مات الرشيد في طوس ومات ابنه في طرسوس. لله همة أبعدت بهذين السهمين من بغداد إلى طوس وطرسوس. من كان يظن أن الرشيد والمأمون كانا مترفين من أبناء النعمة وأخدان القصور فليعلم أن الرشيد كان همة لا تفتر بين الحج والغزو:

فمن يطلب لقاءك أو يرده ... ففي الحرمين أو أقصى الثغور

وأن المأمون لم يقعد عن قيادة الجيش إلى ثغور الروم، وأنه لقي حتفه غازياً في هذه المدينة النائية طرسوس:

ما رأينا النجوم أغنت عن المأ ... مون في ظل ملكه المحروس

غادروه بمرصتي طرسوس ... مثلما غادروا أباه بطوس

يقول ياقوت:

«وبينها وبين أذنة ستة فراسخ، وبين أذنة وطرسوس فندق بُفا والفندق الجديد. وعلى طرسوس سوران وخندق واسع ولها ستة أبواب. ويشقها نهر البردان ...

وما زالت موطناً للصالحين والزهاد يقصدونها لأنها من ثغور المسلمين، ثم لم تزل مع المسلمين في أحسن حال؛ وخرج منها جماعة من أهل الفضل إلى أن كان سنة ٣٥٤ الخ»

كانت طرسوس ثغراً تتكسر عنده زفرات الروم وفي إقليمها غزا أمير العرب وشاعرهم سيف الدولة وأبو الطيب المتنبي

واستولى عليه الروم سنة ٣٥٤ حين مرض سيف الدولة فخربوا مساجدها وجلا كثير من أهلها. يقول ياقوت: «وملك نقفور البلد فأحرق المصاحف وخرب المساجد وأخذ من خزانة السلاح ما لم يسمع بمثله مما كان جمع من أيام بني أمية إلى هذه الغاية ...»

ثم دخلت في حوزة المسلمين حينما امتد سلطانهم على بلاد الروم من بعد

وبعد الحروب الصليبية استولى عليها المصريون، ثم استولى

ثم لهذه الدعاوى العريضة التي أصبحت ديدن كل من أحس شهرة بحق أو بباطل في هذا البلد، فلا يقنع الباحث منهم بما دون قلب الأوضاع، ومحو التاريخ، وتغيير خلق الله؛ وهو أعجز من أن يغير وضع الزقاق الذي ولد فيه، ودرج بين صبيانه.

* * *

ولا يسعني أن ألقي القلم قبل أن أوجه تهنئتي إلى الأستاذ أحمد أمين بما يكون قد أصاب من نجاح صحفي، لست أدري أمن قبيل أدب المدة هو أم من قبيل أدب الروح؛ لأن النوعين لا يزالان في حاجة إلى مزيد تحديد.

فأما أنت يا دكتور زكي، فإني أهنيك بأن ظفرت على سفاهك هذه المرة، ببعض رضاي. ورحم الله حكيم الشعراء:

سفاهٌ ذاد عنك الناس حلم ... وغيٌّ فيه منقمة رشاد

عبد الجواد رمضان
المدرس في كلية اللغة العربية

عليها بنو رمضان الذين حكموا أذنة وما حولها فى القرن الثامن الهجرى إلى أن أديل منهم للعثمانيين

ذكرت كثيراً من وقائع الدهر فى طرسوس وذكرت الرشيد والمأمون وسيف الدولة والمتنبى وقصيدته السينية التى مدح بها محمد بن زريق فى طرسوس :

هذى برزت لنا فهجت رسيسا ثم انثنيت وما شفيت نسيسا

ورثيت للشاعر حين ذكرت أن الممدوح أعطاه عشرة دراهم . فقيل له : إن شعره حسن . فقال : ما أدرى أحسن هو أم قبيح ولكن أزيده لقولك عشرة دراهم

ركبت فى طرسوس عربة ومعى رفيق من اسكيشهر ، وكان الحوذى يعرف العربية ، ولا تكلم أحداً فى هذه النواحى بالعربية إلا أجابك

قلت : أين منسج راسم بك ؟ فذهب إلى معامل عظيمة للنسج لمحمد بك المصرى . ولم أجد البك هناك ولكنى رأيت المناسج العظيمة وسرنى ما رأيت فيها وما سمعت

وسألت رجلاً هناك : أتعرف قبر الخليفة المأمون ؟ المأمون ابن الرشيد مات هنا ودفن ، فهل عندكم علم عن قبره ؟ قال : لا . ولكن هنا شيخاً خبيراً بالآثار ، لعل عنده علماً . غاب عنى قليلاً ، وعاد يصف للحوذى الموضع ! إنتهى السائق إلى جامع كبير له سور عال ضخم كأنه أعد للقتال ، وعلى مقربة منه خانات كبيرة ، وبجانبه تكية مغلقة . دخلنا الجامع إلى صحن واسع يحيط به أروقة تمتد على جدار الباب ، وعن اليمين والشمال ، وفى وسطه حوض مظلل ؛ ويفصل الصحن والمسجد جدار دخلناه من باب ، ومنه إلى مسجد مستطيل فيه ثلاثة عقود تقوم على صفين من العمد .

وفى الجدار الشرقى من المسجد كوة تطل على التكية المغلقة . نظرت منها فإذا مصلى مسقوف ، وإذا ثلاثة قبور ، أشار خادم المسجد — وهو حلبى الأصل — إلى أقربها إلى الكوة . وقال : هذا قبر المأمون . قلت : أرأيت عليه كتابة ؟ قال : أجل ! وقد سألت ناساً فى طرسوس وأذنة ؛ فاتفقت كلمتهم على وصف القبر وموضعه ! وأما المؤرخون ، فقد أجمعوا على أن المأمون دفن فى طرسوس . وأخبرنى بعض علماء العرب والترك أنهم رأوا القبر وقرأوا عليه اسم الخليفة المأمون !

هنا الخليفة العظيم ! . . هنا الرجل العالم المحب للعلم والعلماء ! . . هنا الملك العفو الذى قال : لو علم الناس حبى للعفو لتقربوا إلى بالذنوب ! ... هنا عبدالله المأمون بن هرون الرشيد ! ...

« رحم الله أبا العلاء » :

أتتم بنو النسب القصير فطولكم باد على الكبراء والأشراف

والراح إن قيل ابنة العنب اكتفت بأب عن الأسماء والأوصاف

هنا أمير من أمراء المؤمنين يفتخر به تاريخ الإسلام ، وحق على الأمم الإسلامية كلها على اختلاف أجناسها أن تشيد بذكره ، وتعظمه فى قبره ! ...

لقد درست قبور الخلفاء والعباسيين فى بغداد وسامرا . فلا يُعرف لواحد منهم قبر اليوم حاشا قبر هرون الذى طمس عليه عصبة الشيعة فى طوس ؛ وحاشا قبر المأمون الذى طمس عليه النسيان فى طرسوس أو كاد .

تمنيت أن أجلس إلى قبر المأمون ساعة فأسجل ما توحيه إلى نفسى عظمة الماضى ومصائب الحاضر ، وغير الزمان ، وتقلب الأيام ، وما يبعثه فى النفس ذكر المأمون وجواره من عظمة وإعجاب ، وفخار وعبرة !

ثم جلست فى طرسوس فرأيت مساجد عتيقة ، ولكنى أصغرت كل شىء فلم أبال به بعد أن وقفت على قبر الخليفة الكبير المأمون بن الرشيد رحمهما الله ! ...

عبد الوهاب عزام

اتق شر حرارة الصيف

كلما حل فصل الصيف تعرض جميع المصابين باضطرابات الدورة الدموية أدت إلى أمراض وأعراض مختلفة . ومن هؤلاء هم المصابون بتصلب الشرايين وضغط الدم والسمنة وضعف القلب والبواسير

وإلى هؤلاء نوجه النصيحة ومن رأيهم أن يقبلوها ولا يفرطوا بأنفسهم إن أخطر وأعم الأمراض هو احتقان الدم أو ما يسمونه بمرض النقطة . وهذا يتأتى من انحجار أحد شرايين الدماغ فيسبب النزيف الدماغى وينتج عنه إما الموت للفاجئ أو الشلل المديد فيبقى الانسان مريضا عليلا ليقية حياته ، ويجانب هذا الخطر الدائم يصاب الانسان بشتى الحالات المتعسة كالذهول وضيق النفس وطنين الآذان والانحطاط والتكاسل والدوخة والنبض السريع والنزيف المحلى واختلال القوى الجنسية . وهذه أمراض خطرة تحتاج إلى العناية الكلية .

فللتغلب عليها والخلاص من الأخطار التى تسببها والشفاء منها حالا ونهائيا ولكى تسترد قواك الجنسية والرجولة الحقة والسعادة فى الحياة . خذ حبوب اكس آى — روح النوم الطبيعى — بلا رائحة ولا طعم . فهى سهلة التعاطى زهيدة الثمن وفيها كل العناصر المنشطة والمنظمة الدم الق فى النوم .